

الحلقة التاسعة والعشرون

سفر أعمال الرسل

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نواصل اليوم دراستنا لأحداث المثيرة التي رافقت تأسيس الكنيسة المسيحية، وذلك من خلال كلمة الله المقدسة في سفر أعمال الرسل.

وكنا قد علمنا أن الكنيسة المسيحية بدأت بمعمودية التلاميذ من الروح القدس وانضمام ثلاثة آلاف شخص إلى الكنيسة في يوم واحد. ثم تعرضت الكنيسة لإضطهاد عظيم واستشهد استفانوس، ونشبت المؤمنون. وبالرغم من ذلك فقد انتشرت المسيحية في مناطق عديدة وتأسست كنائس كثيرة. ونتيجة لرحلة الرسولين بولس وبرنابا الأولى في قبرص وتركيا، آمن كثيرون بالمخلص المسيح، ولا سيما من الأمم غير اليهود.

ثم انطلق الرسولان بولس وسيلا في رحلتها التبشيرية الثانية، وذهبا إلى اليونان. وفي مدينة فيليبي أنقذهما الله بأعجوبة من السجن، وكانت النتيجة أن آمن حافظ السجن بالمخلص المسيح واعتمد مع أهل بيته. وفي مدينة تسالونيكي آمن الكثيرون، فأثار اليهود غير المؤمنين الجماهير ضد بولس وسيلا. وأتهموهما أنهما يناديان بملك آخر غير الملك الروماني قيصر. فاكتفى الحكام بأخذ كفالة من ياسون، الذي كانا يقيمان عنده.

وكما ذكرنا في اللقاء السابق، فلقد أرسل الإخوة بولس وسيلا ليلا إلى مدينة بيرية المجاورة. وفي بيرية دخلا أيضا إلى مجمع اليهود، وكان هؤلاء أشرف من الذين في تسالونيكي. فقبلوا كلمة الله برغبة شديدة، وأخذوا يدرسون الكتب المقدسة يوميا، ليتأكدوا من صحة التعليم الذي ينادي به الرسول بولس. فأمن عدد كبير منهم، كما آمن من اليونانيين بعض النساء النبيلات وعدد كبير من الرجال.

وسمع يهود تسالونيكي أن الرسول بولس يبشّر ببشارة الخلاص في بيرية، فلحقوا به وبدأوا يحرضون الناس ليثوروا عليه. حينئذ أرسل الإخوة بولس ليسافر عن طريق البحر، وبقي سيلا وتيموثاوس في بيرية. ورافق بعض الإخوة الرسول بولس حتى أوصلوه إلى مدينة أثينا، عاصمة اليونان حاليا. ثم رجعوا بعد أن أوصاهم الرسول بولس بأن يلحق به سيلا وتيموثاوس بأسرع وقت ممكن.

نجد في هذه التطورات، كيف كان تبشير الرسول بولس يثمر دائما، بالرغم من الإضطهادات الشديدة، التي لم تثن عزمه. وكانت النتيجة أنه في كل مدينة كان يؤمن أناس بالمخلص المسيح. ولقد تأكد ليهود بيرية، بعد أن فحصوا كتب العهد القديم المقدسة، أن ما ينادي به الرسول بولس هو صحيح مئة في المئة. وأن المخلص المسيح الموعود به، قد أتى فعلا وأتم عمل الخلاص للبشر جميعا.

وبينما كان الرسول بولس ينتظر في أثينا وصول سيلا وتيموثاوس، رأى المدينة مملوءة أصناما، فتضايقت روحه. وأخذ يخاطب اليهود والمتعبدين في المجمع، ومن يلقاهم كل يوم في سوق المدينة. وجرى نقاش بينه وبين بعض الفلاسفة من الأبيقوريين والرواقيين. وعندما وجدوا أنه يبشر بمخلص اسمه يسوع وبالقيامة من الموت، قال بعضهم ماذا يعني هذا المدعي الأحق بكلامه، يبدو أنه ينادي بآلهة غريبة.

كانت أثينا بمبانيها الفخمة وآلهتها المتعددة، مركزا للحضارة الإغريقية والفلسفة اليونانية والتعليم . وكان الفلاسفة والمتقنون دائما على أهبة الإستعداد للإستماع إلى كل أمر جديد. واشتهرت بلاد اليونان بفلسفتها. ولذلك دعا الفلاسفة الرسول بولس للحديث إليهم في تلة أريوس باغوس، حيث ساحة المدينة. وسألوه: نريد أن نعرف منك ما هو هذا المذهب الجديد الذي تتادي به؟ إننا نسمع منك أقوالا غريبة، نريد أن نعرف معناها؟ فوقف الرسول بولس في وسط أريوس باغوس مخاطبا الجموع قائلا:

" يا أهل أثينا أراكم متدينين كثيرا في كل أمر. فبينما كنت أتجول في مدينتكم وأنظر إلى معابدكم وجدت معبدا مكتوبا عليه "إلى الإله المجهول." فبهذا الإله الذي تعبدونه ولا تعرفونه، أنا أبشركم. إنه الله الذي خلق الكون وكل ما فيه، وهو الذي لا يسكن في معابد بنتها أيدي البشر، لأنه رب السماء والأرض، وليس بحاجة إلى خدمة يقدمها له الناس. فإنه يهب جميع الخلق الحياة والنفس وكل شيء. وقد أخرج الشعوب جميعا من أصل واحد، وأسكنهم بلاد الأرض كلها، وحدد مسبقا أزمنة وجودهم وحدود أوطانهم. لكي يبحثوا عن الله لعلهم يتلمسونه فيهدتوا إليه. فإنه ليس بعيدا عن كل واحد منا، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد، أو كما قال بعض شعرائكم نحن أيضا نرثه. فما دمنا ذرية الله، فيجب ألا ننظر إلى الألوهية كأنها صنم من ذهب أو فضة أو حجر يستطيع إنسان أن ينحته أو يصوغه كما يتخيل. فالله الآن يدعو جميع الناس في كل مكان أن يرجعوا إليه تائبين، وقد غض النظر عن أزمنة الجهل التي مرت. لأنه حدد يوما يدين فيه العالم بالعدل على يد رجل اختاره لذلك. وقد قدّم للجميع برهاننا، إذ أقامه من بين الأموات." (أعمال الرسل ١٧: ٢٢- ٣١)

إلى هنا انتهى خطاب الرسول بولس. لقد كان بولس حكيما وماهرا في كيفية إيصال بشارة الإنجيل إلى مختلف أنواع البشر. فهو كان يتحدث لليهود من كتب العهد القديم، التي كانت تشير إلى المخلص المسيح. بينما نراه هنا يتحدث إلى اليونانيين الفلاسفة، والوثنيين الذين يعبدون الأصنام، ولا يعرفون الله. لهذا نجد أنه تحدث لهم عن الله الخالق، خالق الكون وما فيه، ورب السماء والأرض، والذي منه نسمة الحياة.

وليس هذا فحسب بل بدأ حديثه معهم من الأمور التي يعرفونها. إذ تحدث لهم عن الإله المجهول، الذي يعبدونه دون أن يعرفوا من هو. وقال لهم أنه سيبيشرهم عن هذا الإله الذي يعبدونه ولا يعرفونه. أي انطلق بهم من المعلوم إلى المجهول. وأوضح لهم أن الله هو الذي يهب جميع الخلائق الحياة والنفس، لا بل هو الذي عمل كل الشعوب من أصل واحد. وحدد مسبقا أزمنة وجودهم وحدود أوطانهم. وكشف لهم أن هدف الله من ذلك، هو أن يبحث الإنسان عنه، فهو ليس بعيدا عن كل واحد منا. لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد. واقتبس قول أحد شعراءهم: أننا نحن البشر من ذرية الله. فאלله ليس صنما من صنع البشر.

ثم ختم خطابه بالتأكيد أن الله يدعو اليوم جميع البشر إلى التوبة، متغاضيا عن أزمنة الجهل التي مروا بها. والسبب لأنه قد حدد يوما هو فيه مزعم أن يدين البشر جميعا بعدل، عن طريق رجل اختاره لهذه المهمة. وهو برهن عن اختياره لهذا الرجل، بأن أقامه حيا من بين الأموات.

وبذلك أشار الرسول بولس إلى المخلص المسيح الذي أقامه الله من بين الأموات، والذي يجب أن نؤمن به لكي نخلص من دينونة الله القادمة. وليس هذا فحسب بل أكد أن المخلص المسيح قد عينه الله ديانا لكل الناس. ولقد سبق للمخلص المسيح نفسه أن أعلن هذه الحقيقة، عندما قال: " فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة." (بشارة يوحنا ٥: ٢٨ و٢٩)

لكن ماذا كانت ردة فعل السامعين على خطاب الرسول بولس؟ فما أن سمعوه يتحدث عن قيامة الأموات، حتى بدأ بعضهم يستهزئون. ولكن آخرين قالوا له: نود أن تحدثنا عن هذا الموضوع مرة أخرى. أما الرسول بولس فقد انسحب من بينهم. لكن أناسا التصقوا به وآمنوا بالمخلص المسيح، ومنهم ديونيسيوس الأريوباغي، وامرأة اسمها دامرس، وآخرون غيرها. وهكذا نجد هنا أيضا أن بعض الناس قد آمنوا.

وماذا عنك أنت صديقي المستمع، إن دينونة الله كما سمعت آتية لا ريب فيها. وسيكون المسيح المخلص نفسه هو الديان. فهل تأتي إليه بإيمان قلبي صادق؟ وهكذا لا تنجو من دينونة الله فحسب، بل تحصل أيضا على هبة الخلود.